والاختلاف . يتصل النص بسائر النصوص التى توافقه فنعرفه ، ويتصل بما يخالفه فنسبر قوته . فهم النص إذن مرانة تحييه وتستجيشه وتنقذه من شلل البطالة والجمود .

لكننا لا نصبر على القراءة ، ولا نألف النصوص ، أو لا نألف عيوبها كما نألف حسناتها . نحن نكبر ما نسميه الحسنات إكبارا غريبا لأننا نكبر ما نسميه باسم التوافق . والفهم فى أشد الحاجة إلى أن نألف ما يخيل إلينا أنه عيب . ليس هناك ميزان مطلق . الميزان المطلق لا يعدو أن يكون نوعا من الأثرة وضيق الأفق وتجاهل بعض الإمكانات . إن الفهم جدل مرة أخرى بين الحسنات والعيوب ، أو بين التوافق والتخالف . ولا سبيل إلى هذا الجدل إلا إذا ألفنا ما نختلف معه . الفهم يعطى الحق والكرامة للعيب ، لكنه يطالب بالأمانة له . ومن حق كل جوانب التفكير أن تحيا ، ومن حقها أن تتآزر . ولنقل إن العيب من حقه ألا يستهان به وألا يقاس بغيره من الحسنات . الفهم بعبارة أخرى بحث عن حرية ، وبحث عما نسميه بعبارة حادة باسم النقائص . ولسنا نطلب من الفهم أن نكون ملائكة . نحن بشر نسعى إلى المتعة ببشريتنا .

وبعبارة ثانية إن النص لا يكون كاملا أبدا . النص حركة بين قوى مختلفة ، وعلينا أن نرضى بخيرها وشرها ، وعلينا أن نترقب آياتها وزلاتها ، وعلينا أن نكشف ما يسر بنفس الحماسة التى نبديها فى الكشف عما يسوء . لنقل إن النص مجموعة قوى يؤيد بعضها بعضا ويناوىء بعضها بعضا . والمناوأة آية الفهم النبيل .

إن الناس يفهمون الخطأ فهما مسرفا . ما أكثر ما قيل فى تاريخ النقد عن الأخطاء . ما أكثر المداد الذى أريق فى البحث عن العيوب . وما أقل ما نتحرى العيوب كما نتحرى لوازم الأصدقاء لنعبث بها فى براءة وإشفاق . الخطأ إذن مفهوم يحتاج إلى تصحيح . مثل الخطأ الذى تقف عنده مثل اللازمة المضحكة من صديق . أتراك تعامل هذه اللازمة فى غير ابتسام والتذاذ .

لقد قال العقاد إن الفهم اتصال بين الناس . والاتصال إطار من القبول أو اطار من الخلاف والقبول يتحاوران ويتعابثان ويتخاصمان ، ولكننا فى كل حال لا ننسى أننا أمام إطار ، وأمام بحث عن اتصال . ليس ثم اتصال خال من الثغرات . الثغرات ركن أساسى من الاتصال ، على هذا تفهم ، وعلى هذا تقبل .